

## زعامات الحركة العربية ووعد بلفور (1920-1917)

### The Leaderships of the Arab Movement and the Balfour Declaration (1917-1920)

#### مقدمة

نصّ قصير، من 117 كلمة، مؤرخ في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917، غير مسار تاريخ منطقة الشرق الأدنى وأعاد تشكيل خريطةها، وفاض على جغرافيتها. ذاك هو تصريح بلفور الذي بعث به وزير الخارجية البريطاني، آرثر جيمس بلفور، إلى اللورد روتشفيلد، أحد زعماء الحركة الصهيونية، في مطلع القرن العشرين.

مرّ قرن على ذلك الحدث الهائل *Evènement monstrueux*، وفق العبارة التي اجترحها المؤرخ بيار نورا Pierre Nora، ولكن هذا الحدث لم يتحول بعد إلى جزء من الماضي، على الأقل بالنسبة إلى العرب، فقد ظلّ فائراً ممضاً، متجلجاً في الصدور، مؤرّقاً الصمائر، إنه من طراز ذلك الماضي الذي يأبى أن يمضي "Un passé qui ne passe pas".

لقد كتب كثير عن وعد بلفور، بل إن هذا الحدث، كما يقال، قُتل بحثاً. ولكن ذكرى مؤوية هذا الحدث، كما سائر المؤويات<sup>(2)</sup>، تمثّل - مثلما هو معلوم - مناسبة للباحثين والمؤرخين كي يعودوا إليه ليستأنفوا الحفر في أبعاده المتراصة، التاريخي منها والسياسي والأخلاقي والمعرفي والرمزي ... إلخ. فالتاريخ إنما هو في الحصيلة كتابة مستمرة؛ لأنّه ببساطة علم تأويلي في رأي الفيلسوف دالتي Dilthey؛ ذلك أن المؤرخ يهتم بأفعال البشر ويجهّد - ما وسعه ذلك - في استقصاء ضمائر الأموات، ما يعني أنه يتعامل مع المعنى، والمعنى لا يفسّر بل يؤوّل. ومن ثم فإن التاريخ، بوصفه كتابة، لا ينتهي.

ضمن هذه الإحداثيات العامة تدرج ورقتنا التي سنبحث فيها ردود أفعال زعامات الحركة العربية على إعلان وعد بلفور خلال الحقبة الواقعة بين نهاية 1917 ومطلع 1920، ومسوغات تلك الردود ومعاناتها.

وقد يفيد التذكير هنا بأنه لا تاريخ من دون سردية، ولا سردية من دون شخصيات. والمقصود بالشخصيات في مقامنا هذا الفاعلون الكبار *Les grands acteurs*، وما تنسّب إليهم المصادر والروايات من أدوار في التأثير في الأحداث وتوجيهها وجهات معينة، إن قليلاً أو كثيراً.

1 أستاذ التاريخ المعاصر والراهن بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس.

Professor of Contemporary and Present History at the Faculty of Arts and Humanities, Sfax University, Tunisia.

2 يعيش العالم منذ نحو أربعين عاماً "حمى الاحتفاليات التذكارية". واحياء الذكرى في تعريفه العام عمل جماعي *Un acte collectif*، عمومي *Public*، موضوعه حدث أو فعل باهر ماضٍ أو شخصية فذة عزّت إليها المجموعة الوطنية دوراً بارزاً في حقبة من حقب تاريخها. ويعتبر إحياء الذكرى، بوصفه تجلّياً للذاكرة، إحدى دعامتين هوئيات المجموعات والشعوب.

لقد تمت العودة بقوّة إلى الفرد في الكتابة التاريخية الأكاديمية، منذ أكثر من أربعين سنة، بعد فترة من التغيب المعمّد<sup>(3)</sup>، في أفق أبحاث ترى أن الممارسات الاجتماعية والسياسية والثقافية يمكن قراءتها من خلال الإستراتيجيات الفردية للفاعلين. وقد صُقل هذا التبني على مر الأعوام بعد ذلك.

ولعل في تدبر تعاطي الزعامات العربية مع خبر إعلان وعد بلفور ما يعين على إدراك أهمية إضاءات الأقدار الفردية Les destins في توضيح بعض الأشياء، حتى إن بدت تلك الإضاءات بسيطة أحياناً. individuels

## أولاً: الزعامات العربية في سياق الحقبة (1919-1914)

### 1. ما المقصود بالزعامت العربية؟

يُجدر التذكير، بدايةً، بأن الحركة العربية الحديثة مرّت بعدة أطوار، وفق ما شدّد عليه الذين عكفوا على تعقب مراحل تلك الحركة وتقصي تقلباتها وتداعياتها<sup>(4)</sup>.

وكان الطور الأول من هذه الحركة (نهاية القرن التاسع عشر - بداية الحرب العالمية الأولى) قد شهد ما يسميه المؤرخون بلوحة الاتجاه القومي العربي<sup>(5)</sup>، وقيام الجمعيات والهيئات والأحزاب التي مثلّت البداية الفعلية لـ "المشروع العربي"<sup>(6)</sup>.

هكذا تم الانتقال من الحديث عن العرب إلى الحديث عن الأمة العربية، لا سيما بعد إفاذ سياسة "الترتيك" في الولايات العربية المشرقية كما هو معروف<sup>(7)</sup>؛ إذ تطورت من المطالبة بالمساواة مع الأتراك، في مرحلة أولى، إلى الدعوة إلى الإصلاح، وإقامة نظام لامركزي (مقررات المؤتمر العربي الأول في باريس عام 1913) في مرحلة ثانية، أي أن تكون تلك الولايات مستقلة استقلالاً ذاتياً في إطار الإمبراطورية العثمانية، قبل أن تتطور إلى الاستقلال التام والانفصال عن الإمبراطورية في مرحلة لاحقة باعتبار أن "يقظة [العرب] كانت توقّاً إلى تقرير المصير والاستقلال السياسي"<sup>(8)</sup>.

شكّلت جمعيات عربية وهيئات ثورية نحو "الفتاة" وـ "حزب الامركزية" ، وجمعية "العهد" لحمة هذه الحركة وسداها. وقد أسست زعامات عربية معروفة عدة جمعيات وهيئات وأدارتها<sup>(9)</sup>، ولكن تعرض قسم منها للتصفيه من جانب جمال باشا عامي 1915 و1916.

3 عاد الفرد ليحتل صدارة الاهتمامات بعد فترة طويلة لقي فيها من الغمط والإهمال قدرًا كبيراً؛ ذلك أن اهتمام المؤرخين، ولا سيما في الفترة 1930-1974، قد انصب على "الأقدار الجماعية" أو الفاعلين بوصفهم مجموعات مثل البرجوازية أو الفلاحين أو البروليتاريا، انظر على سبيل المثال: Antoine Prost, "Les acteurs dans l'histoire," in: Jean-Claude Ruano-Borbalan (dir.), *L'histoire aujourd'hui* (Paris: Editions Sciences Humaines, 1999), pp. 413-426.

4 على سبيل الذكر، لا الحصر، انظر: محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة: ابعاذها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى، تاريخ ومذكريات وذكريات وتعليقات (بيروت/صيدا: المكتبة المصرية، 1971)، ص 150-56.

5 من تجليات هذا الاتجاه الحركة الأدبية والفكيرية التي عرفتها البلاد العربية المشرقية آنذاك. بخصوص ذلك، انظر: ساطع الحصري، محاضرات في نشوء القومية العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1955).

6 جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط 8 (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، ص 97-126؛ محمد الناصر النفزاوي، التيارات الفكرية والسياسية في السلطنة العثمانية (1839-1918)، (تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/دار محمد علي للنشر، 2001)، ص 566.

7 زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية: مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط 3 (بيروت: دار النهار، 1979)، ص 91-107.

8 المراجع نفسه، ص 139.

9 عرفت الإمبراطورية العثمانية خلال الحقبة 1908-1914 عدة جمعيات عربية؛ منها جمعيات علنية مثل جمعيتي الإخاء العربي العثماني (1908) والمنتدي الأدبي (1909)، وجمعيات سرية نحو الجمعية الفتحانية (1909)، والعربية الفتاة (1909)، والعهد (1913).

أما قيادة الحركة العربية خلال الطور الثاني الذي يهمّنا في هذا السياق، فإنّها عرفت تغييرًا مهمًا إذ نهض بزعامتها الشّريف حسين وأبناءه الأربعة، لا سيما فيصل وعبد الله، في حين أصبح دور القوميين العرب الشاميين والعراقيين شبه ثانوي.

لقد تمّ انتقال القيادة إلى الهاشميين بطلب من زعماء الشام، وبرغبة منها حتى قبل أن يقدم جمال باشا على تصفية عدد من رموز ناشطي الطور الأول من القوميين العرب<sup>(10)</sup>. ولكن تلك الحاجة أضحت أوّلّيّة بعد الإعدامات التي لحقت قيادات الحركة العربية في سوريا ولبنان خلال عامي 1915 و1916. أضف إلى كلّ هذا الدور الذي أدّته القوى الخارجية، وعلى رأسها بريطانيا العظمى، كي يستأثر الشّريف حسين وأبناءه بقيادة الحركة.

وخلاله ألمّ أن قيادة الحركة العربية عرفت، خلال هذه الفترة، تبدلًا ملحوظًا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وانخراط الإمبراطورية العثمانية فيها (31 تشرين الأول / أكتوبر 1914)، وإعلان العرب الثورة على الأتراك (5 حزيران / يونيو 1916)، وانحياز الشّريف حسين وأبناءه إلى صفّ بريطانيا في حربها على دولة الخلافة. وجاء هذا التغيير تكريساً وتتويجاً للتقارب بين ما سماه المؤرخ المستعرب فلاديمير لوتسكي (1906-1962) "إقطاعيي العرب بالحجّاز"، و"برجوازية سوريا والعراق"<sup>(11)</sup>.

## 2. في التركيبة الجديدة للزعamas والتّحول النوعي في القيادة العربية

ساعت العلاقة بين قادة الحركة العربية والأتراك بعد الانقلاب الدستوري (1909) وانتهاء الأتراك الاتحاديين سياسة التتربيك (1909)، وتنّكر الباب العالي لوعده للزعماء العرب بعد مؤتمر باريس (عام 1913)، وزادت حادثة الحكم بالإعدام على عزيز علي المصري، من تعزيز شعور انعدام الثقة بين العرب والأتراك. وقد وجد شعور النّقمة وغياب الثقة بالأتراك ترجمته في ظهور جمعيات ثورية عربية؛ نحو حزب العهد، وجمعية العلم الأخضر التي تأسست عام 1914<sup>(12)</sup>، والجمعية الثورية العربية التي ظهرت في مطلع 1914 بالقاهرة ودعت إلى استعمال العنف وتجاوز مطلب الالامركزية إلى الانفصال والاستقلال<sup>(13)</sup>.

وعلى إثر تبلور هذه التّزعّة الثورية ضدّ الأتراك، دخل عدد من القادة العرب في اتصالات ومشاورات مع ممثلي القنصليات الفرنسية والبريطانية، وكذا استعلامات هذين البلدين. وهنا ينبغي لنا التذكير بأنّ فرنسا وإنجلترا كانتا تعاملان جاحدتين على تعزيز وجودهما في منطقة المشرق العربي وصون مصالحهما، في انتظار انهيار الإمبراطورية العثمانية وما سيسفر عنه تقسيم ولايات المنطقة وأقاليمها. ومن ثمّ ساعدت هاتان القوتان الإمبرياليتان النّزعات الانفصالية في الولايات العربية الراجعة بالنظر إلى الباب العالي<sup>(14)</sup>. وفي الوقت نفسه، أجرى القوميون العرب من ناحية، والإنكلزيز من ناحية أخرى، كلّ بأساليبه الخاصة، اتصالات بالشّريف حسين<sup>(15)</sup> الذي تصدّى للقيام بدور الزعيم العربي المناهض للأتراك والمنادي بطردهم من البلاد العربية.

10 على سبيل المثال، انظر في هذا الصدد: دروزة، ص 235؛ سليمان موسى، الحركة العربية، المرحلة الأولى للنّهضة العربية الحديثة (1908-1924)، ط 3 (بيروت: دار النهار، 1986)، ص 127.

11 فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط 7 (بيروت: دار الفارابي، 1980)، ص 455.

12 دروزة، ص 478-480.

13 المرجع نفسه، ص 462-473.

14 ربط القنصلية الفرنسية في دمشق وبغداد صلات بعض القوميين العرب، ومؤلّتاً عدّاً غير قليل من الصحف العربية. وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى تكتفت هذه الاتصالات، من ذلك دخول شقيق المؤيد باسم حزب الالامركزية في مقابلات مع يوميّار السفير الفرنسي في الأستانة طالباً من فرنسا تقديم الدعم المالي والسياسي "لانتفاضة عربية مرتقبة" (كذا). وفي هذه الأثناء أبرم حزب الالامركزية اتفاقية مع فرنسا تقضي بتسليم العرب 20 ألف بندقية، وتوكيل عدد من المدربين العسكريين بتأطير المقاتلين العرب. كما قامت اتصالات مماثلة مع المقيمين الإنكلزيز بالمنطقة.

15 هو الحسين بن علي الهاشمي مؤسس المملكة الحجازية الهاشمية. ولد في إسطنبول عام 1854 حينما كان والده منفياً فيها. كان الشّريف حسين أول من نادى (برفقته أولاده الأربعة: عبد الله، وفيصل، وزيد، وعلي) باستقلال العرب عن حكم الدولة العثمانية كما سمعوا إلى ذلك لاحقاً.

ولعله من المفيد في هذا السياق تأكيد أن الشريف حسين قد عين شريفاً على مكة في 1 تشرين الثاني / نوفمبر 1908، أي بعد مجيء الاتحاديين إلى الحكم في الأستانة<sup>(16)</sup>. ولم يكد يمضي وقت طويل حتى أدرك الاتحاديون فداحة خطئهم بهذا التعيين؛ وذلك عندما أخذ الحسين يؤكد سلطانه الشخصي على قبائل الحجاز، ورغبتة الجامحة في أن يصبح حاكماً مستقلاً على المنطقة ويسقط نفوذه على مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية. ولقد أثارت النيات التوسعية للرجل حفيظة الأتراك، ما تسبب في النهاية في تدهور العلاقة بينه وبين مركز الخلافة.

والحق أن شريف مكة كان على يقينه من تفاقم الغضب العربي على الاتحاديين واحتدام الشعور القومي العربي لدى النخب العربية المدنية والعسكرية في مطلع عام 1914، وتحديداً بعد حادثة إيقاف عزيز علي المصري ومحاكمته<sup>(17)</sup>.

وكان القوميون العرب من جماعة "الفتاوة" و"العهد" آنذاك ينظرون إلى الشريف حسين على أنه أقوى الرعماء العرب<sup>(18)</sup>. وكانت الجمعيات العربية، المسلمة والمسيحية، تتطلع إلىزعيم كبير يتولى قيادتها و"ينشئ الدولة العربية الكبرى"<sup>(19)</sup> المنشودة، ما يعني في التحليل الأخير أن القوميين العرب في ذلك الوقت كانوا يفتقرن إلى قيادة قوية جامعية<sup>(20)</sup>.

لقد أقام الشريف حسين اتصالات مع الإصلاحيين والقوميين العرب في الشام في مطلع عام 1914، على الرغم مما كان معروفاً عنه من عدم اطمئنانه إلى الأحزاب والجمعيات وقلة ثقته بها<sup>(21)</sup>. وقد كان لابنيه فيصل<sup>(22)</sup> وعبد الله<sup>(23)</sup> دور مهم في هذا المضمار. وعلى سبيل المثال، كان فيصل عضواً في "الفتاوة" و"العهد" وسبق له أن أقسم على مبادئهما وأهدافهما، إضافة إلى أن شقيقه عبد الله دخل عضواً في جمعية "الجامعة العربية" في ربيع 1914.

ومن جهتها، قامت بعض الزعامات العربية، ولا سيما عدد من أعضاء حزب الالامركزية، بزيارة الشريف حسين في معقله بالحجاز، إضافة إلى نفر من حكام الجزيرة العربية الآخرين. وخلال ربيع 1914، جرى لقاء في حائل (عاصمة إمارة شمر) بين عدد من القوميين العرب وحكام شبه الجزيرة العربية، وقد تدارسوا - من بين ما تدارسوا - إمكان بعث "جبهة عربية موحدة" تتکفل بالإعداد للثورة المسلحة على الأتراك<sup>(24)</sup>.

وجد الحسين بن علي شريف مكة نفسه في تلك الفترة الدقيقة من تاريخ الإمبراطورية العثمانية عموماً، والولايات العربية خصوصاً، في مركز إستراتيجي، مزدداً بالسلطة الروحية وبتأييد القبائل، فضلاً عن طيف واسع من القوميين العرب؛ الأمر الذي هيأ له أن يطالب بطرد الأتراك، ورفع شعار دولة عربية مستقلة.

16 قضى الشريف حسين مدة طويلة في إسطنبول في ما يشبه الإقامة الجبرية برفقة أبناءه الأربع، زمن حكم السلطان عبد المجيد الثاني.

17 أنطونيوس، ص 199-295.

18 أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربيع قون، مج 1 (القاهرة: مكتبة مدبولي، [د.ت.]), ص 124.

19 المرجع نفسه، ص 125.

20 عندما سأله الأتير فيصل الزعيم ياسين الهاشمي (أركان حزب الفيلق الثاني عشر): ماذا تطلبون من الحجاز؟ أجاب: "لا نطلب شيئاً، ولا نحتاج إلى شيء فعندنا كل شيء. وما عليك إلا أن تقدمنا وتسير في الطليعة"، انظر: سعيد، مج 1، ص 132.

21 محب الدين الخطيب، المذكرات (سيرة جيل)، مخطوط بمكتبة آل الخطيب بالقاهرة، عن سمية الريماوي، "صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1908-1918"، في: مجموعة مؤلفين، الحركة العربية القومية في مائة عام 1875-1982، ناجي علوش (مشرف ومحرر)، (بيروت: دار الشروق، 1997)، ص 119.

22 فيصل بن حسين (1883-1933): هو الابن الثالث للشريف حسين. ولد بالطائف وأقام مع والده بالاستانة بداية من عام 1896، حيث تلقى تعليمه بالعربية والتركية. عاد مع والده إلى الحجاز عام 1909. انتخب نائباً عن مدينة جدة بمجلس المبعوثان العثماني عام 1913. عاد إلى إسطنبول حيث اكتسب خبرة سياسية ومعرفة بدولاليها ورجالها.

23 عبد الله بن الحسين (1882-1951): هو الابن الثاني للشريف حسين، ولد بمكة، ودرس بالاستانة خلال إقامته والده فيها. عين نائباً عن مكة في مجلس المبعوثان عام 1909. شارك في الثورة العربية الكبرى، وأصبح أميراً على إمارة شرق الأردن عام 1921.

24 لوتسيكي، ص 435.

إن العنصر الوحيد الذي كان يقتضيه شريف مكة الطموح آنذاك هو الدعم المسلح من جانب دولة عظمى، وهو ما حاول السعي لالتماسه عند الإنكليز في مصر.

أوفد الشريف حسين، في شباط / فبراير 1914، ابنه عبد الله إلى القاهرة للاتصال باللورد كيتشنر المعتمد البريطاني في مصر. وقد لمح عبد الله في ثنایا حديثه إلى كيتشنر إلى تحفظ قبائل الحجاز إلى الثورة على الدولة العثمانية، وتساءل في تحفظ عن موقف الحكومة البريطانية في حال إعلان العرب الحرب على تركيا. واعتذر المعتمد البريطاني إلى نجل الحسين بلباقة الدبلوماسيين الإنكليز عن مساعدة والده بحجة الصداقة التقليدية التي تربط بريطانيا بالدولة العثمانية. بيد أن كيتشنر لم يقف بباب الاتصالات نهائياً مع الهاشميين؛ إذ عهد إلى رونالد ستورس المستشار الشرقي بدار المعتمد البريطاني بمتابعة التشاور مع الأمير عبد الله؛ ما يؤشر إلى أن الإنكليز كانوا حريصين على متابعة التباحث والتحاور مع شريف مكة.

### 3. "بروتوكول دمشق" ورهان الزعامات العربية على مساعدة بريطانيا في الانقلاب على الأتراك أو السير إلى "الثورة العربية"

إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى وانضمام الأتراك إلى دول المركز (Central Powers) (1914) أعلن السلطان العثماني خليفة المسلمين الجهاد ضد دول الحلفاء. وقد أصبح موقف العرب من الدعوة إلى الجهاد موضع اهتمام مباشر، وذا أهمية بالنسبة إلى الدول الحليفة، وعلى رأسها بريطانيا؛ إذ كان الإنكليز يعتقدون أن استجابة العرب لنداء الجهاد سيعرض مصالحهم في مصر (قناة السويس) وفي الخليج العربي للخطر<sup>(25)</sup>.

والحق أن العرب، عموماً، وقفوا إلى جانب الدولة العثمانية في حربها مع دول التحالف بداعي العاطفة الدينية. أما الفاعلون السياسيون، فقد انقسموا إلى أقلية من القوميين كانت ترى ضرورة التعامل مع الحلفاء، لأن زوال الإمبراطورية – بالنسبة إليهم – بات في حكم الأمر المحتم. أما القسم الأكبر من النخبة (استوى في ذلك شيوخ الدين والموظفوون المدنيون والعسكريون والوجاهات القبلية والأستقراطية)، فقد آثر مؤازرة دولة الخلافة تحت شعار "الجامعة الإسلامية".

في هذه الأثناء، تلّكَ الشريف حسين في تأييد الدعوة إلى الجهاد ضد بريطانيا، على الرغم من إلحاح أنور باشا رئيس الوزارة، وجمال باشا والي سوريا عليه في ذلك الوقت<sup>(26)</sup>.

ولقد عجل اندلاع الحرب بعودة الاتصالات بين الحسين والإنكليز في نسخة جديدة، بعد أن خرج هؤلاء عن موقف التردد الذي وسم إجابتهم عن طلب الشريف حسين خلال مرحلة المشاورات الأولى (شباط / فبراير - نيسان / أبريل 1914). فخلال أيلول / سبتمبر - تشرين الثاني / نوفمبر 1914، اتصل عبد الله بن الشريف حسين برسالتين من المستشار لدى المعتمد البريطاني بمصر، جاء فيهما التزام إنكليزي بتقديم المساعدات الالزمة للعرب من أجل الثورة على الأتراك ونيل استقلالهم.

وعلى إثر فشل هجوم جمال باشا على قناة السويس في شباط / فبراير 1915، أعلن مكماهون Mac Mahon المندوب السامي البريطاني في مصر (يابعاً من كيتشنر الذي تولّ وزارة الحرب البريطانية) أن "بريطانيا ستساعد العرب عند انتهاء الحرب على نيل استقلالهم والاعتراف بالخلافة العربية بدلاً من الخلافة العثمانية"<sup>(27)</sup>.

25. يضاف إلى ذلك حالة الهيجان التي ستعيم كامل المنطقة العربية، لا سيما منطقة الحجاز، بسبب خشية أن يعمد الأتراك إلى إنشاء قواعد خفية على ساحل البحر الأحمر تتمكنهم من زرع الألغام وإرسال الرسل منها إلى مصر والسودان وبقى البلاد العربية في شمال أفريقيا.

26. كانت ذريعة الشريف حسين للاتحاديين أنه لا يستطيع أن يعلن دعمه لنداء الجهاد، خشية من محاصرة بريطانيا لموانئ الحجاز، وربما قصتها بالقابل. لكن سرعان ما فطن الأتراك إلى مناوراته بحلول شباط / فبراير 1915؛ فقرر الباب العالي التخلص منه. لكن الحسين علم بالخطط بواسطة جواسيسه فأرسل ابنه فيصل إلى الاستانة للاحتجاج (ظاهرياً) على مشروع عزله، لكنه كان – في حقيقة الأمر – مكلفاً بالاتصال بالزعماء العرب في الشام والعراق، للتأكد من مدى استعدادهم للانضمام إليه في حال إعلانه الثورة على الباب العالي. واجتمع فيصل، خلال زيارته الثانية إلى دمشق، بعدد من الرعاء السوريين والبدو والدروز الذين انضموا إلى "الفتاة" و"المهد" وأقسم كل من قابل فيصل "يمين الولاء لحركة الاستقلال العربي والبابوية بالزعامة للشريف حسين"؛ انظر: سعيد، مج 1، ص 133.

27. Full text of "Sykes-Picot," Internet archive, accessed on 23/12/2018, at: <https://goo.gl/y6vU7b>

وعلى الرغم من كل هذه الوعود، فإن الشريف حسين بدا متربّداً في الثورة ضدّ دولة الخلافة؛ لأنّه لا يجد المبرّر الكافي أمام العالم الإسلامي للإقدام على مثل تلك الخطوة الخطيرة. حدث هذا قبل أن تتطور الأحداث لاحقاً وتتوسّع العلاقة بين العرب والاتحاديين وفقاً ما شرحته آنفًا.

وفي أيار/مايو 1915، أجرى الأمير فيصل في دمشق مشاورات مع القوميين السوريين قبل إعدامهم من طرف جمال باشا، ونصحهم بالوقوف إلى جانب الإنكليز ضدّ الأتراك. وقد أطلعه أعضاء من "الفتاة" و"العهد" على نصّ ميثاق حربوه، تضمّن شروط العرب لعقد اتفاق مع بريطانيا، والدخول إلى جانبها في الحرب، وطلّبوا إليه أن يقدّمه إلى والده كي يجعله أساساً لمقاؤضاته مع بريطانيا<sup>(28)</sup>.

ويستمدّ هذا الميثاق الذي يسمّى في المصادر "بروتوكول دمشق" أهميّته من كونه أول قرار تتخذه قيادات سياسية قومية عربية بإنشاء دولة عربية متحدة تستعين على توطيد كيانها وسلطتها بإبرام معاهدة دفاعية مع بريطانيا. ومنح هذه القوّة الدوليّة العظمى الأوليّة بين الدول في المشاريع الاقتصاديّة، وهو أمرٌ يتيح لها ضمان مصالحها الحيويّة وتأمين طرق مواصلاتها مع الشرق<sup>(29)</sup>.

والحق أن التفاصيل التي نقلها فيصل لوالده الشريف مكة بخصوص وجود يقطنة قومية في سوريا، والتفات تلك اليقطنة القومية إلى شخصه كي يتزعمها، أو يسير بها نحو إنشاء دولة عربية متحدة ومستقلة، كان لها أثر قوي لدى الرجل؛ ما دفع به إلى أن يعيد الاتصال بممثلي الحكومة البريطانية في مصر.

## ثانيًا: فلسطين ونهاية عهد: من هزيمة الأتراك إلى فضح الاتفاقيات السرية

### 1. هزيمة العثمانيين والألمان في فلسطين

تحولت فلسطين<sup>(30)</sup>، منذ بداية الحرب العظمى عام 1914 حتى نهايتها عام 1918، إلى ساحة من ساحات هذه الحرب. ففي بداية الحرب، جعل الأتراك من فلسطين قاعدة لجيشهما الزاحف على قناة السويس في مصر، فكانوا يغيرون منها على موقع الإنكليز في الصحراء وعلى ضفتها القناة. وكان جمال باشا قد عين عند اندلاع الحرب قائداً للجيش الرابع في سوريا<sup>(31)</sup> وأنصتت به مهمة توطيد الأمان في سوريا والهجوم على قناة السويس، إضافة إلى إشغال الجيش الإنكليزي في مصر<sup>(32)</sup>. ولكن الوضع تغيّر بعد إعلان الشريف حسين الشورى على الأتراك في 5 حزيران/يونيو 1916، وبعد اشتراك العرب في الحرب إلى جانب الحلفاء.

28 بخصوص تفاصيل هذا البروتوكول، انظر: موسى، ص 131؛ أنطونيوس، ص 243-244.

29 دون الجنزال غلوب، في كتابه: بريطانيا والعرب (لندن: [د.ن. 1959]), ص 60، ماهيل: "إن بنود الميثاق (وهي أول عرض يتقدّم به القوميون العرب في المفاوضات) أعطت بريطانيا العظمى كل شيء كان يمكن أن ترغب فيه"، عن موسى، ص 131.

30 كانت فلسطين جزءاً من سوريا الطبيعية في الطرف الغربي من قارة آسيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتحديداً إلى الجزء الجنوبي الغربي. وخلال العهد العثماني، كانت فلسطين مقسمة إدارياً بين ولاية بيروت وسنجق القدس؛ إذ كان القسم الشمالي من فلسطين يتبع ولاية بيروت. أما سنجق القدس، فكان يشمل القسم الجنوبي من فلسطين.

31 كان مقراً مدينة دمشق. وكانت دائرة نفوذه العسكري والإدارية تشمل البلاد المتعددة من جنوب طرطوس إلى اليمن؛ أي إنها كانت تضم ولايات أضنة وحلب والشام وبيروت وجبل لبنان وفلسطين والجزار.

32 غادر جمال باشا مركز القيادة في القدس وبث السبع على تنظيم الهجمات على قناة السويس وحاول الجيش العثماني مرازاً عبر القناة (في مطلع شباط/فبراير 1915)، وخلال هجوم مشترك تركي - ألماني (3 آب/أغسطس 1916)، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.

لقد تمكّنت القوات العربية من طرد القوات العثمانية من الحجاز<sup>(33)</sup>، ثم زحفت شمالاً، تحت إمرة فيصل في اتجاه العقبة، لتحتل هذا الموقع المهم في 6 تموز / يوليو 1917. بعدها، شرع الجيش العربي في نشر قواته على طول الطريق بين العقبة ومعان<sup>(34)</sup>.

وعلى إثر سقوط العقبة، قرر الإنكليز في مصر أن يجعلوا عمليات الجيش العربي فيها وفي جهة معان تحت قيادة إدموند هنري النبي<sup>(35)</sup> وأن تتحول القوات العربية في العقبة إلى الجناح الأيمن للجيش البريطاني في زحفه نحو الشام.

وكان الجيش البريطاني قد تقدّم من مصر إلى فلسطين مخترقاً شبه جزيرة سيناء، بقيادة الجنرال النبي فدحر الجيش العثماني في رفح، في 10 كانون الثاني / يناير 1917، ثم واصل زحفه نحو غزة التي احتلها في 7 تشرين الثاني / نوفمبر 1917.

وفي غزة، جرى اجتماع بين الجنرال النبي والأمير فيصل قائد الجيش العربي، وتم الاتفاق بين الطرفين على ضرورة قيام القوات العربية بعمليات في فلسطين وشريقي الأردن وسوريا. وبعدئذ، زحف جيش الحلفاء بقيادة النبي شمالاً فاحتل يافا في 16 تشرين الثاني / نوفمبر 1917، واحتل بيت لحم أيضاً. وفي 8 كانون الأول / ديسمبر 1917، اضطرب العثمانيون إلى الانسحاب من القدس التي دخلها الجنرال النبي في 11 كانون الأول / ديسمبر 1917. وإثر ذلك، أنشأ النبي في فلسطين إدارة عسكرية بريطانية على رأسها ضابط عسكري كبير مقره القدس، يحمل لقب "الحاكم العام للمنطقة الجنوبيّة من أراضي العدو المحتلة"<sup>(36)</sup>.

## 2. الغدر بالعرب: عن سايكس - بيكيو إلى وعد بلفور

حين كان العرب، ممثلين في الشريف حسين وأبنائه، يعارضون الحلفاء في حربهم ضد الإمبراطورية العثمانية وحليفتها ألمانيا، أملاً في تحقيق حلم دولة عربية مستقلة، كانت تجري، في مكاتب وزارات خارجية بريطانيا وفرنسا وروسيا ومعابرها، مفاوضات تهدف إلى اقتسام تركية "الرجل المريض" في آسيا الصغرى والشرق الأدنى العربي، وقد توجّت هذه المشاورات والمحادثات السرية بتوقيع اتفاقية سايكس - بيكيو التي أرفقت بخريطة تبيّن تقسيم المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا<sup>(37)</sup>، في حين لم تشمل حصة روسيا شيئاً من البلاد العربية<sup>(38)</sup>.

ومن أجل تفادى جملة الالتزامات التي سبق لهم أن قطعوها على أنفسهم، قرر الإنكليز استغلال الحركة الصهيونية التي أخذت تنشط على نحو مكثّف ومركّز في نهاية القرن التاسع عشر<sup>(39)</sup>. وقبل الحرب العالمية الأولى، التفت قادة الفرع الصهيوني البريطاني بقيادة حاييم وايزمان إلى الحكومة البريطانية في سعي منهم لإقامة تعاون معها.

33 لاقى جيش "الثورة" في البداية بعض الصعوبات، خاصة عام 1916، الأمر الذي أثار شكوكاً لدى القيادة العامة البريطانية في القاهرة حول قدرة الشريف حسين على أن يهزم الأتراك. ييد أن الأوضاع تغيرت في مطلع 1917 على إثر نجاح فيصل، في بداية كانون الثاني / يناير 1917، في احتلال مركز الوجه (مركز مهم على ساحل البحر الأحمر يقع نحو 400 كيلومتر شمال جدة)، وهو ما ثبت أقدام الثورة في الحجاز.

34 بخصوص تفاصيل معارك الجيش الرابع، انظر: صبحي العمري، المعارك الأولى: الطريق إلى دمشق، أوراق الثورة العربية (1) (لندن / ليماسول: رياض الريس للكتب والنشر، 1991)، ص 259-105.

35 سعيد، مج 1، ص 58.

36 أنطونيوس، ص 330-331؛ موسى، ص 307.

37 بخصوص اتفاقية سايكس - بيكيو، وعلى سبيل الذكر، لا الحصر، انظر: Full text of "Sykes-Picot," Internet archive؛ أنطونيوس، ص 348-358؛ موسى، ص 320-323؛ "اقتسام العالم: بمناسبة مرور مئة سنة على اتفاقية سايكس - بيكيو"، أسطور، العدد 6 (تموز / يوليو 2017)، ص 303-364.

38 شملت حصة فرنسا (باللون الأزرق) غرب سوريا ولبنان وكيليكيا والجنوب الشرقي من الأناضول. وتمثل نصيب بريطانيا (باللون الأحمر) بمنطقة ما بين النهرين (بما في ذلك البصرة وبغداد وميناءاً حيفاً وعكا في فلسطين).

39 لوتسكي، ص 466-468.

وفي مطلع عام 1917، أي في خضم استعدادهم لاحتلال فلسطين، "تذكّر" الإنكليز مطامع الصهيونيين؛ فقرّروا استغلال خدماتهم وتوظيفها من أجل اقتطاع فلسطين من الدولة العربية. وخلال شباط/فبراير من العام نفسه، قام مارك سايكس، بتكليف من الحكومة البريطانية، بإجراء اتصالات مع نفر من القادة الصهيونيين. وتكرّرت هذه المفاوضات، خلال صيف 1917، لتسفر في النهاية عن تطابق في وجهات النظر، فإذا الحصيلة نشر الحكومة البريطانية، في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917، بياناً عن سياستها في فلسطين، وقد كان كنائنة عن تصريح سيشتهر لاحقاً باسم "وعد بلفور"، تعهدت بريطانيا بموجبه بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد جاء هذا الالتزام في نصّ رسالة مقتضبة بعث بها آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشفيلد رجل الأعمال الصهيوني المعروف<sup>(40)</sup>.

هكذا تبيّن أن بريطانيا كانت تتفاوض مع ثلاثة أطراف في الأَنْ نفسه: العرب ممثلين بالشريف حسين وأُبَنَائِهِ، وحليقتيها فرنسا وروسيا، وأخيراً الحركة الصهيونية. والسؤال هنا: كيف كان الإنكليز يأملون التوفيق بين هذه المتناقضات والاتجاهات المتصاربة؟

ما هو مؤكّد أن هدف الإنكليز، وهذا ما برهنت عليه الأحداث لاحقاً، كان وأخّه: تأمّن مصالحهم في المنطقة، حتى إن نكثوا العهود بعد ذلك<sup>(41)</sup>.

كان من الطبيعي ألا تبقى اتفاقية في مثل خطورة سايكس-بيكو، ووعد في مثل جسامته وعد بلفور طي الكتمان طويلاً. ففي تشرين الثاني / نوفمبر 1917، نشر البلاشفة الذين استولوا على الحكم في روسيا بنود الاتفاقية في محاولة منهم إرباك حلفاء النظام القيصري من "الدول الإمبريالية". ومن الطريف أن الشريف حسين، مثله مثل سائر العرب الآخرين، قد علم بتصرير بلفور قبل أن يعلم باتفاقية سايكس-بيكو التي كانت سرًا معلقاً عند نشر ذلك التصرير.

لقد صدم سايكس - بيكر ووعد بلغور زعامات الحركة العربية وأثارا سخطا عاماً للناس، بحيث بدأ تتسرب الاتجاهات المعاذية للإنكليز إلى صفوف الجيش العربي؛ من خلال تململ الضباط والجنود، وشروع عدد من قادة الثورة في التفاوض مع تركيا مهددين بعقد صلح منفرد معها.

إن المسؤولين اللذين يتوقف عليهما جلاء جوانب من الإشكالية التي تتحرك في إطارها هما: بماذا اتسمت ردات الفعل الأولية لأولئك القادة والزعamas حيال تصريح بلفور فور ذيوع خبره، ومعنى هاتيك الردود؟ وهل كان لدى بعضهم وعي، ولو جيني، بما قد ينطوي عليه مثل ذلك الوعد من أخطار على العرب بعامة، وعلى فلسطينيين بخاصة؟

### ثالثاً: الشريف حسين ووعد بلفور (1917-1920)

سعت الحكومة البريطانية بعد شائعات خبر وعد بلفور لمحاولة طمأنة العرب من ناحية، وللتقرير وجهات النظر بين العرب واليهود الصهيونيين من ناحية أخرى.

كان هاجس الإنكليز الحفاظ على مركزهم الحربي في المنطقة. ومن أجل تجسيده هذا الهدف، كان لا بد، بالنسبة إليهم، من إيجاد نوع من التفاهم بين العرب واليهود الصهيونيين<sup>(42)</sup>، على أن الخطوة الأولى في هذا التمثي كانت تهدئة الخواطر العربية، والتأثير في

40 إن الإيجابات والدراسات والكتب حول وعد بلفور عديدة وقد جاءت بلغات عديدة، وهي متفاوتة من حيث القيمة والفائدة. وبناءً عليه، فإننا لا نزيد إيراد لاتحة لهذه الأعمال، حتى لو كانت مختلطة، سبب ضيق المحتوى.

<sup>41</sup> حدث هذا على سبيل المثال مع روسيا حول فلسطين التي كان من المفروض (بحسب اتفاقية سايكس - بيكو) أن تكون منطقة دولية، ومع فرنسا حول الموصل التي كانت من نصيب فرنسا وفق سايكس - بيكو، انظر على سبيل المثال: فتحي ليسير، "رهان النفط في مسار سايكس - بيكو 1916-1920"، *أسطورة*، العدد 6 (تموز / يوليو 2017)، ص. 238-252.

42 عبد الوهاب الكباري، *تاريخ فلسطين الحديث*، ط 7 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979)، ص 107.

الملك حسين كي يعدل عن موقفه من المشكلة الصهيونية. وما جاء في إحدى المراسلات السرية البريطانية في هذا الشأن: "لا بد أن يفهم الملك أن صدقة اليهودية العالمية للقضية العربية تعني كسب تأييد جميع الدول التي يتمتع فيها اليهود بنفوذ سياسي" <sup>(43)</sup>.

## 1. رسالة هوغار特<sup>(44)</sup> إلى "ملك العرب"

كانت دهشة الشريف حسين كبيرة عندما تناهى إليه نبأ تصريح بلفور<sup>(45)</sup>، هذا على الأقل ما تتفق بشأنه أغلبية المصادر التاريخية. وكعادة الحسين كل مرّة، في تعامله "الشّفّاف" مع الإنكليز، توجه إليهم بالسؤال مستفهّماً عما إذا كان ما بلغه من أمر التصريح صحيحًا، وطلب كذلك تعریفًا لمعنى الوعد ومدّاه<sup>(46)</sup>.

وكان ردّ السلطات البريطانية في القاهرة إيفاد ديفيد هوغار特 الخبير الإنكليزي بالشؤون العربية إلى مكة لمقابلة "سيد الحجاز". وفي 4 كانون الثاني / يناير 1918، سلم هوغار特 الشريف حسين مذكرة أعلنت فيها بريطانياً أن دول الحلفاء مُصمّمة على أن تتيح للشعب العربي فرصة كاملة لاستعادة كيانه كامة في العالم. وهذا لا يتيسّر حقيقة إلا باتحاد العرب أنفسهم، وأن بريطانيا العظمى وحلفاءها سيتبعون سياسة ترمي إلى تحقيق هذه الوحدة<sup>(47)</sup>. وقال هوغار特 في مذكراته تعليقاً على هذه النقطة الأخيرة: "من الجليّ أن الملك يعُد الوحدة العربية مرادفة لملكه وأنها بغير هذا لا تكون ذات معنى، وهو ينظر إلى تصريحاتنا ودعواتنا إليها على اعتبار أنها مظهر لنيتنا الحسنة لا أكثر"<sup>(48)</sup>.

وفي اجتماع 9 كانون الثاني / يناير 1918،قرأ هوغار特 على مسمع الحسين القسم المتعلّق بإقامة اليهود في فلسطين وقال: "إن الملك يرحب باليهود في كلّ البلاد العربية"<sup>(49)</sup>. وكتب هوغار特 في مذكراته، في ما يتعلّق بالإشراف الدولي على الأماكن المقدّسة في فلسطين، أن الملك "لم يدع لي شكّاً في أنه يعُد هذه المسألة يعاد النظر فيها بعد عقد الصلح على الرغم من تأكيدي له بأنّها تدبّر نهائياً. وقد شبّهنا معه باثنين يهّمانا بأن يسكننا بيّنا واحداً ولكنّهما غير متفقين على اقتسام الغرف وتوزيع الأدوار"<sup>(50)</sup>.

أما بخصوص فلسطين، فقد جاء في الرسالة التي قرأها هوغار特: "أنا مصمّمون على أن لا يخضع شعب لشعب آخر"، وقال ما يتعلّق بموضوع إقامة اليهود في فلسطين: "إن الملك لا يقبل قيام دولة يهودية مستقلة في فلسطين، ولم تصدر لي تعليمات بأنّه ذكر له أن ما تفكّر فيه وتنوّيه بريطانيا العظمى ولعله لا يعرّف إلا القليل على الحالة الاقتصادية الواقعة أو الممكّنة في فلسطين. وأما موافقته السريعة على إقامة اليهود في فلسطين فلا تعني شيئاً ولا قيمة لها، ولكنّي أظنه يقدر مزية التعاون العربي مع اليهود"<sup>(51)</sup>.

43 المرجع نفسه، ص 107.

44 ديفيد هوغار特 (1862-1927): عالم آثار إنكليزي اشتغل بالشرق الأوسط قبل أن يجري تسميته في مصر بمصلحة الاستعلامات التابعة للجيش الإنكليزي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى. وقد تولى بعده رئاسة المكتب العربي بالقاهرة.

45 أنطونيوس، ص 375.

46 أشار سليمان موسى إلى أن هوغار特 عقد عشرة اجتماعات مع الشريف حسين خلال الفترة 14-18 كانون الثاني / يناير 1918، انظر: موسى، أما جورج أنطونيوس، فإنه يؤكد أن عدد هذه الاجتماعات لم يتجاوز اثنين؛ ذلك أن هوغار特 قابل الملك مرتين خلال الأسبوع الأول من كانون الثاني / يناير 1918، انظر: أنطونيوس، ص 375. وربما كان أنطونيوس يقصد الاجتماعات الأولى بين هوغار特 والحسين كانت مخصصة لإعادة الوثام بين هذا الأخير والملك ابن سعود في نجد، انظر: المرجع نفسه، ص 371.

47 موسى، ص 372.

48 ديفيد هوغار特، "مذكرات عن لقائه بالشريف حسين (15 كانون الثاني / يناير 1918)"، في: وثائق فلسطين: مائتان وثمانون وثيقة مختارة، 1837-1987 (تونس: منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة، 1987)، ص 68-69.

49 موسى، ص 373.

50 هوغار特، ص 68-69.

51 المرجع نفسه.

ما يهمنا هنا أن التعبير السلسلة المنمقة التي "نمنم" بها هو غارت خطابه إلى الشريف حسين، وقدرته على تمويه الواقع، وإخفاء النيات الحقيقية للسياسة البريطانية، قد فعلت فعلها فلم يغادر العرب ساحة المعركة، على الرغم من الشعور الذي أصبح يساورهم بعدم الاطمئنان إلى سياسة بريطانيا وعدم الثقة بها.

## 2. ثقة الحسين المفرطة بوعود الإنكليز

لا يملك الباحث المتخصص فيما كان يجري في المنطقة العربية بالشرق زمن الحرب العالمية الأولى وإثر نهايتها إلا أن يعجب من "الثقة العمياء" التي وضعها شريف مكة في الإنكليز. هكذا لاح الحسين كمن خاطر بكل أسلحته إلى جانب بريطانيا، وظل على رأيه ذاك غير لاً على تحذير أو لومٍ. وقد جعل موقفه هذا منه شخصية إشكالية<sup>(52)</sup> حيث المؤرخين. ووهنا بيان بعض من ذلك. لبّأ بعرض الصلح الذي قدمه جمال باشا إلى الشريف حسين في خريف 1917 بعد افتضاح أمر سايكس - بيكو ووعد بلفور. لقد أجاب الشريف حسين ابنه فيصل الذي راجعه في الموضوع بقوله إنه "يضع الموضوع كله بين يدي الحكومة البريطانية التي لا بد أن تكون مطلعة على مسائل سياسية كثيرة لا يعرفها هو" ، ثم فوض الحسين إلى ريجنالد وينغايتس Reginald Wingate المفوض البريطاني السامي في مصر "أن يبلغ لفيصل [من الأوامر] ما يرى بإلاغه"<sup>(53)</sup>. وكان الشريف لا يبني في "رحم" ابنه فيصل بالأوامر والتعليمات التي تتحثّه على أن يعمل بما يقول له ساسة بريطانيا" ، وكان يردد "إن الحكومة البريطانية هي التي ستوضح له طبيعة مهمته"<sup>(54)</sup>. وعندما بدأ التململ يسري في صفوف جيش فيصل إثر انتشار خبر وعد بلفور، أُبرق فيصل إلى أبيه معبرًا عن خشيه مما يجري في نبرة تشي بعدم الاطمئنان إلى الإنكليز، فأجابه الحسين في لهجة قاطعة: "الحلفاء أجل وأكيد من أن يخلوا بحرف من مقرراتنا معهم"<sup>(55)</sup>. ولما شاع نباء تصريح بلفور على نطاق واسع، ظلّ الشريف حسين على قناعته بصدق الحكومة البريطانية، بل إنه "بعث إلى أكبر أتباعه في مصر وفي صفوف جيش الثورة ليخبرهم أنه تلقى تأكيدات بأن توطين اليهود في فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب [...]" بل أوعز بنشر مقال في الجريدة الناطقة بسانه<sup>(56)</sup>، يحضّ فيها عرب فلسطين على الترحيب بإخوانهم اليهود"<sup>(57)</sup>.

## رابعاً: فيصل ووعد بلفور (1917-1920)

يحسن القول، منذ البداية، إن آراء فيصل وموافقه حول مستقبل فلسطين، في الحقيقة موضوع البحث، لم تكن تختلف كثيراً عن آراء والده الحسين وموافقه، بل إنها كانت مماثلة لتلك الآراء التي حملتها آنذاك غالبية العرب العاملين في الحقل السياسي<sup>(58)</sup>.

### 1. اللقاء بين فيصل ووايزمان: حزيران/ يونيو - كانون الأول/ ديسمبر 1918

سبقت الإشارة إلى أن الإنكليز تعهدوا برعاية الاتصالات بين قادة الحركة العربية والقادة اليهود الصهيونيين بعد ذيوع تصريح بلفور. وضمن هذا المدار، يمكن تنزيل قرار رونالد ستروس وجليبرت كلايتون إرسال وايزمان للاجتماع مع الأمير فيصل في مقر قيادته عام 1918.

52 يقول صحي العمري: "إن الأحكام التي نزلت بالملك حسين وأولاده وعائلته وجيشه من قبل بعض الناس كانت أحكاماً غير عادلة، فبعضها يعطيه أقل مما يستحق من تقدير وفي بعضها ما لا يستحق من نقد" ، انظر: العمري، ص 312.

53 موسى، ص 378.

54 المرجع نفسه، ص 432.

55 من أوراق الأمير زيد، عن موسى، ص 379، انظر هامش الصفحة المذكورة:

P.R.O, F.O, 371/3395, 686/37, 656/38.

56 هي صحيفة القبلة (مكة) الناطقة باسمه، العدد 182، آذار / مارس 1918.

57 أنطونيوس، ص 277.

58 المرجع نفسه، ص 395.

اجتمع فيصل وايزمان، في 4 حزيران / يونيو 1918. وحضر هذا الاجتماع الكولونيل جويس رئيس البعثة العسكرية البريطانية في الجيش الشمالي. وخلال هذه المقابلة، بسط وايزمان لفيصل أهداف الصهيونية ورغبة الصهيونيين في التعاون مع الزعماء العرب وحرصهم الشديد على التواصل معهم<sup>(59)</sup>. كما أكد له أن الصهيونيين لن يعملوا على إنشاء حكومة يهودية في فلسطين ولكنهم يعملون على إعمار البلاد وتطويرها في ظل الحماية البريطانية، من دون أي انتداء على المصالح المشروعة للأخرين. وكان جواب فيصل - الذي بدا حذراً جدًا خلال هذه المقابلة<sup>(60)</sup> - أنه يدرك أهمية التعاون، ولكن يتذرّع عليه إبداء الرأي في الموضوع "لأنه في القضايا السياسية لا يزيد على كونه وكيل أبيه ولا يستطيع البحث فيها"<sup>(61)</sup>.

و عندما شرع فيصل في رحلته الأوروبية، في خريف 1918، وهو في الطريق إلى مؤتمر الصلح بباريس لتمثيل والده فيه، اتصل به أثناء إقامته ناخوم سوكولوف أحد زعماء اليهود المعروفين "مرحباً به وطالباً منه أن يظهر عطفاً على القضية اليهودية"، لكن فيصل "صرفه بطف"<sup>(62)</sup>.

وعند تحوله إلى لندن في تلك الفترة نفسها، زاره كبار اليهود الإنكليز، وعلى رأسهم ألفريد موند وهبرت صموئيل واللورد بركنهد (وزير الحقانية البريطانية)، مبدين تفهمهم للعرب وقضيتهم. كما أظهروا استعدادهم لمساندة تأكم القضية بنفوذهم<sup>(63)</sup>.

ثم تجدد الاتصال بين فيصل وايزمان، في 11 كانون الأول / ديسمبر، في فندق كارلتون بلندن مقر إقامة فيصل آنذاك بحضور توماس إدوارد لورنس الذي نهض بدور المترجم بين الرجلين.

وخلال هذا الاجتماع، تبيّن للأمير فيصل أن اتفاقية سايكس - بيكر كانت حقيقة مجسدة وليس خرافات تفتق عنها الخيال البليسي المناور كما زعم الحلفاء في وقت من الأوقات. وقال فيصل عن هذا اللقاء الذي تم بطلب من وايزمان إن هذا الأخير أعلمته في مستهل الاجتماع أن "اليهود ليس لهم قصد في حكم فلسطين، وجل مقاصدهم أن يكون لهم ملجاً يلتجؤون إليه، وليس لهم أدنى طمع في تأسيس حكم ما". وطمأن وايزمان للأمير فيصل بخصوص اتفاقية سايكس - بيكر، بل إنه يخس من شأنها قائلاً إنها لا تدعو أن تكون محض "وريقه لا أهمية لها"، وإن العرب واليهود إذا مشينا جنباً إلى جنب لا تستطيع أي أمة كانت أن تهضم لنا أدنى حق. كما كرر وايزمان لخاطبه قوله: إن اليهود لا قصد لهم بتشكيل حكومة، بل إنهم يريدون ألا يمنعوا من التوطّن في البلاد، وهم يتطلّبون من العرب أن يمدّوا إليهم يد المعاونة لصديق مخلص ليس له سلاح يقاتل به أو يستملك بقوّته، وإنما هو معين للعرب وللوطن بمال والذكاء والتأثير السياسي الخارجي، وقال إن لدى اليهود أموالاً يمكن للعرب أن يستفيدوا منها في توطيد حكمتهم وإعمار بلادهم وإصلاحها<sup>(64)</sup>.

هذا أهم ما حاول وايزمان تمريره إلى فيصل في ذلك الوقت. ولكي تكتمل الصورة علينا ألا ننحي من دائرة اهتمامنا التأثير الكبير والوازن جدًا الذي مارسه لورنس مستشار فيصل حتى يقع للأمير الهاشمي بفوائد التعاون مع اليهود. فقد هُوَل الخطر الفرنسي، وخاصة

59 سعيد، مج 2، ص 47.  
60 المرجع نفسه.

61 موسى، ص 431.  
62 سعيد، مج 2، ص 48.

63 المرجع نفسه.

64 جاء هذا في رسالة مطولة بعث بها فيصل إلى والده الشريف حسين في 12 كانون الأول / ديسمبر 1918، انظر: موسى، ص 435-437.

بعد أن أسرى الفرنسيون عن نياتهم الحقيقة في سوريا. وفي المقابل، أشاد بقدرة اليهود على التأثير في الموقف الأميركي حتى إنه أقنع الرجل - بفضل لباقته وقدرته الفائقة على الحجاج - بقوة نفوذ اليهود عند الرئيس ويلسون<sup>(65)</sup>.

والحقيقة التي لا شك فيها أن الحكومة البريطانية (عن طريق لورنس الناطق بلسانها) من ناحية، ونفر من الزعامات الصهيونية المعروفة من ناحية أخرى، مارس كلّ من جانبه<sup>(66)</sup> ضغوطاً شتى على فيصل (الذي يفترض أنه يمثل الطرف العربي) كي يعقد الطرفان العربي واليهودي اتفاقية مكتوبة، وهذا ما سيتجسد من خلال اتفاقية ستعرف في كتب التاريخ باسم اتفاقية "فيصل - وايزمان" وهو ما سيكون موضع اهتماماً في ما يلي.

## 2. اتفاقية فيصل - وايزمان: هل كانت اعترافاً عربياً صريحاً بوعد بلفور؟

جرى توقيع هذه الاتفاقية، في 3 كانون الثاني/ يناير 1919، بين الأمير فيصل بن الشريف حسين بوصفه ممثلاً عن المملكة العربية الحجازية، والقائم بالعمل نيابة عنها، ووايزمان بصفته ممثلاً عن المنظمة الصهيونية العالمية والقائم بالعمل نيابة عنها.

جاءت الاتفاقية في توطة وتشمل مواد ونصت في أصلها الإنكليزي<sup>(67)</sup> على "القرابة الجنسية والصلات القديمة بين العرب واليهود" (التوطئة)، وعلى ضرورة التعاون وتنسيق الجهود في سبيل النهوض بالدولة اقتصادياً وتطوير مواردها (المادة 7)، وعلى تقديم "أوّفي الصمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية" (أي وعد بلفور) المؤرخ في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 (المادة 3)، وعلى تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين "على مدى واسع والحدّ عليها بأقصى ما يمكن من السرعة" (المادة 4) وعلى "حرية وممارسة العقيدة الدينية" (المادة 5)<sup>(68)</sup>. ولنا في هذا الشأن أربع ملاحظات:

﴿ لقد اعترفت هذه الوثيقة في مادتها الثالثة بوعد بلفور؛ ذلك أن منطق النص قد أشار إلى ضرورة إنفاذ وعد الحكومة البريطانية لليهود في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 وتفعيله، وهو كلام واضح لا غبار عليه. ﴾

﴿ أضاف فيصل إلى مواد الاتفاقية مادة دوّنها بخط يده أدرجت أسفل باقي المواد التسع التي كتبت بالألة الكاتبة. وهذه الإضافة هي كناية عن تحفظ خطّي على الاتفاقية؛ إذ جعل فيصل موافقته على الاتفاقية مشروطة بإنجاز بريطانيا لعهودها التي قطعتها في أمر استقلال العرب، على حرفيتها؛ أي بحذافيرها، كما يقال. فقد جاء في نص هذه المادة التي يمكن عدّها المادة العاشرة من الاتفاقية ما يلي: "إذا نالت العرب استقلالها كما طلبنا بتقريرنا المؤرخ في 4 كانون الثاني/ يناير 1919<sup>(69)</sup> المقدم لنظرارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى فإني موافق على ما ذكر بياطنا هذا من المواد، وإن حصل أدناه تغيير أو تبدل فلا تكون ملزوماً ومربوطاً بأي كلمة كانت بل تعدد هذه المقاولة كألا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار ولا أطالب بأي صورة كانت"<sup>(70)</sup>. ﴾

65 رسالتا فيصل إلى الشريف حسين وإلى شقيقه زيد في 12 كانون الأول/ ديسمبر 1918 (أوراق الأمير زيد)، المرجع نفسه، ص 437.

66 في هذا الصدد، يقول جورج أنطونيوس إن وزارة الخارجية البريطانية قد مارست ضغوطاً شديدة على فيصل كي يبرم اتفاقية مع الصهيونيين قبل أن يصدر مؤتمر الصلح مقرراته، رغبة منها في أن تواجه بريطانيا مؤتمر الصلح بـ"عمل ناجز"، المرجع نفسه، ص 394.

67 يمكن العودة إلى النص الإنكليزي للاتفاقية، انظر: Full text of "Sykes-Picot," Internet archive.

68 يمكن الاطلاع على بنود هذه الاتفاقية في ترجمتها العربية في: وثائق فلسطين: مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية، ج 1 (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة لاستعلامات، [د.ت.]), ص 251-252.

69 فشر سليمان موسى التضارب الواقع بين التاريخ المسجل على الاتفاقية (3) كانون الثاني/ يناير 1919) والتقرير الذي ذكر فيه فيصل أنه قدّمه إلى وزارة الخارجية البريطانية (4) كانون الثاني/ يناير 1919) تكون وايزمان ولورنس أعداً نص الاتفاقية في 3 كانون الثاني/ يناير 1919 ولكن فيصل - لسبب غير معروف - لم يوقعها إلا بعد "مرور أيام" (كذا)، المرجع نفسه، ص 440.

70 تعمّد لورنس خلال ترجمته هذا الشرط إلى اللغة الإنكليزية إسقاط كلمة "استقلال" العرب من النص، انظر: موسى، ص 439، الهاشم، 2.

﴿ وَقَعَ فِيصلُ بِالعَرَبِيِّ تَحْتَ الْمَادَةِ الَّتِي أَصَافَهَا بِخَطِّ يَدِهِ. وَجَاءَ تَوْقِيْعُ وَايْزَمَانَ تَحْتَ تَوْقِيْعِ فِيصلٍ. وَتَأْسِيْسًا عَلَى هَذَا، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَدُّ هَذَا الشَّرْطَ - الْمَادَةَ، أَوْ هَذِهِ الْمَادَةَ - الشَّرْطَ الَّتِي أَصَافَهَا فِيصلٌ، مَادَّةً أَسَاسِيَّةً فِي صَلْبِ الْاِتْفَاقِيَّةِ الَّتِي لَا يَمْكُنُ الْحَدِيثُ عَنْهَا وَقَرَائِهَا بِمَعْزَلٍ عَنْهَا.﴾

﴿ خَلَافًا لِمَا قَدْ يَتَبَدَّلُ إِلَى الْذَّهَنِ، لَمْ يَتَصَرَّفْ فِيصلٌ عَلَى نَحْوِ فَرْدِيٍّ فِي مَسَأَةٍ بِمَثَلِ هَذِهِ الْخَطُورَةِ. فَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ قَدْرِيُّ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَعْصَاءِ وَفْدِ فِيصلٍ، فِي مَذْكُورَتِهِ: "فِيصلٌ لَمْ يَتَصَرَّفْ مُنْفَرِدًا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ [تَوْقِيْعُ الْاِتْفَاقِيَّةِ]، بَلْ اسْتِشَارَ عَلَى الْأَقْلَى ثَلَاثَةَ مِنْ كُبَارِ أَعْصَاءِ وَفْدِهِ وَهُمْ: رَسْتِمُ حِيدَرُ وَأَحْمَدُ قَدْرِيُّ وَعُوْنَى بْنُ الْهَادِي" <sup>(71)</sup>.﴾

### 3. في خلفيات إبرام فيصل الاتفاقية مع اليهود الصهيونيين

تعرّض الأمير فيصل لاتهامات وانتقادات عديدة؛ بسبب توقيعه رفقة واي Zimmerman نصّ الاتفاقية في 3 كانون الثاني / يناير 1919 التي حملت اسميهما <sup>(72)</sup>.

إنها انتقادات واتهامات لا يسمح هذا الإطار بتفصيلها، أو حتى التلميح إلى أبرزها، فضلاً عن محاولة نمذجتها. ستفصل همنا على السياق العام الذي "أُنْتَجَتْ" فيه هذه الوثيقة، وعلى جملة العوامل والإكراهات التي اضطرت الأمير فيصل إلى توقيعها وهو كظيم؛ لأن طرح مثل هذا السؤال من صميم إشكاليتنا.

من الواضح أن عدم تمرّس فيصل بالسياسة الدوليّة العصرية، وأساليب الدبلوماسيّة الغربيّة آنذاك، وذهنيّته العشائريّة المحافظة التي تأصلت فيها تقاليد البداوّة بطبعها الحسّي الالاتاريّي، ووجهه باللغة الإنكليزية، من العوامل التي جعلته يسقط في "أحْبُولَة" مستشاره لورنس (ومن ورائه السياسيون الإنكليز)، وبعض دهاء الحركة الصهيونية المعروفيّن، ويقتنع في التحليل الأخير بأن الخطر الحقيقي الذي يتهدّد العرب هو فرنّسا، وليس بريطانياً أو اليهود. أضف إلى جملة هذه العوامل التبعيّة شبه التامة للهاشميّين - في سياق تلك الحقبة - للمعونة الأجنبية من مال وسلاح، علاوة على نوع من الفهم "الساذج" للحرّاك السكاني اليهودي آنذاك بأن هجرة بضعة آلاف من اليهود إلى فلسطين أمر بسيط لا يمكن أن يتناقض مع حرية العرب السياسيّة والاقتصاديّة، وهي حرية لم يتم التنصيص عليها في الوعد الشهير <sup>(73)</sup>.

وإذا أبحنا لأنفسنا شيئاً من الاطمئنان بشأن الاستنتاجات المتأنّية لجورج أنطونيوس حول حال فيصل وهو يتّأهّب لتوقيع الاتفاقية مع واي Zimmerman، أمكننا القول إن الرجل كان أمام مأرّق حقيقى. فقد وجد نفسه ممّقاً بين عدم رغبته في إلزام والده بشيءٍ خطير من دون علمه أو استشارته، ورغبته في أن يجاري الخارجية البريطانيّة. ولكي يحسّم هذا الأمر، عزم فيصل على انتهاج ما رأه المخرج الوحيد الذي بقي أمامه، في زحمة تلك الشّوؤن والإكراهات "فوافق على التّوقيع على الْاِتْفَاقِيَّةِ وَجَعَلْ مَوْافِقَتِهِ مَشْرُوْطَةً بِإِنْجَازِ بْرِيْطَانِيَا لِوَعْدِهَا الَّتِي قَطَعَتْهَا فِي أَمْرِ اسْتِقْلَالِ الْعَرَبِ" <sup>(74)</sup>.

71 أَحْمَدُ قَدْرِيُّ، مَذْكُورٌ عَنِ الثَّوْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكَبِيرِ (دَمْشِقُ: وزَارَةُ التَّقَوَافَةِ السُّورِيَّةِ، 1956)، ص 97-98.

72 عَلَى سَيْلِ الذِّكْرِ، لَا الْحَصْرِ، نُورِدُ اتّهَامَ المؤرخ عبد الوهاب الكيالي لفيصل بـ"التَّخَاذِلِ"؛ اتّهَمَ المَرْجُعَ نَفْسَهُ، ص 132.

73 ضَمِنَ وَعْدَ بِلْفُورِ الْحَقُوقِ الْمَدِيَّةِ وَالْدِيَّنِيَّةِ لِسَكَانِ فَلَسْطِينِ وَتَجَاهَلَ حَقُوقَهُمُ الْاِقْتَصَادِيَّةِ وَالْسِّيَاسِيَّةِ.

74 أَنْطُونِيُّوسُ، ص 396.

## خامساً: القادة "القوميون العرب" بالقاهرة و وعد بلفور (1917-1919)

توازياً مع المساعي البريطانية والصهيونية الهدافة إلى تبديد مخاوف الشريف حسين وفيصل ومن والاهما بخصوص "حقيقة" وعد بلفور، اتجهت همة الإنكليز وبعض رموز الزعامات الصهيونية إلى الاتصال بقادة الحركة العربية من "القوميين العرب" وخاصة من كان منهم مقيماً بالقاهرة<sup>(75)</sup>.

ففي مصر، كان يقيم عدد من القادة السوريين من ذوي النفوذ والزعامة، وخاصة أقطاب حزب الالامركزية من أمثال رفيق العظم والشيخ رشيد رضا وإسكندر عمون. وكان هؤلاء الزعماء، الذين ظلوا على اتصال وثيق بالتيارات السياسية في سوريا عن طريق فروع الحزب في المدن الكبيرة، قد اختاروا منذ بداية التضييق على العمل السياسي في الولايات العربية الإقامة في مصر. وكان لهذا الاختيار ما يبرره؛ إذ كانت مصر ملاداً آمناً، ومجالاً مهماً يوفر لهم حرية العمل والحركة.

وعلى إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى دخل ستروس في اتصالات مع أصحاب حزب الالامركزية بغية سبر آرائهم في ما يدور، فأبدوا استعدادهم لتأييد كل حركة ترمي إلى "استقلال العرب مهما كان شأنها"<sup>(76)</sup>. وقد حرص المسؤولون الإنكليز في مصر على الاستفادة من الزعماء العرب المقيمين بالقاهرة ولم يقطعوا قنوات الاتصال بهم، على الرغم مما أصاب هؤلاء من خيبة تجاه بريطانيا إثر إعلانها بسط حمايتها على مصر في 18 كانون الأول / ديسمبر 1914.

وعندما كانت المراسلات دائرة بين الشريف حسين ومكماهون، كان ستروس وكلايتون يستطلعان مواقف هؤلاء الزعماء. وكانت غاية الإنكليز من كل تلك الجهود "جمع كلمة العرب" حول اتفاق عام ذي خطوط عريضة حتى يكون لاتفاقية هؤلاء على الأتراك تأثير فعال في البلاد العربية وخارجها.

ولما شبت "الثورة العربية" عاصد الزعماء السوريون في مصر الشريف حسين في ما قام به. ولكن سرعان ما بدأ بعض هؤلاء القادة يغيرون موقفهم من شريف مكة بعد أن ضجّوا من "تشدّده وصلابته في آرائه وعدم الميل إلى الأخذ برأي غيره من ذوي الرأي"<sup>(77)</sup>.

وعند افتضاح أمر وعد بلفور واتفاقية سايكس-بيكو، لم يأْلَ البريطانيون جهداً في التخفيف من مخاوف الزعماء العرب في القاهرة. وكان من بين المساعي البريطانية رسالة مؤرخة في 16 تشرين الثاني / نوفمبر 1917 بعث بها سايكس إلى الزعماء العرب كافة، جاء فيها أن الصهيونيين لا يقصدون الاستيلاء على فلسطين، وأن "غاية ما يتبعيه الصهيونيون أن ينالوا حق الاستعمار في فلسطين، وأن يعيشوا في مستعمراتهم عيشتهم القومية الخاصة [...، وأن كل ما يرغبه الصهيونيون هو إعطاء الحرية لليهود للإقامة [في فلسطين] والتمتع بكل الحقوق المدنية، وأن يشاطروا السكان الوطنيين حقوقهم وواجباتهم"<sup>(78)</sup>.

لقد أثمرت هذه المساعي بشيء من السرعة؛ إذ أفلح الجنرال كلايتون في مصر في إقناع السياسيين السوريين من أعضاء جمعية الاتحاد السوري في القاهرة بالجلوس إلى عصررين من أعضاء اللجنة الصهيونية، مؤكداً لهم أن وايزمان يبذل وسعه من أجل إقامة

75 من بين هؤلاء القادة: فارس نمر وفوزي البكري وإبراهيم عبد الهادي ورشيد رضا ورفيق العظم وإسكندر عمون.

76 سعيد، مج 1، ص 130.

77 صبحي العمري، أوراق الثورة العربية (2): ميسلون نهاية عهد (لندن/ليماسول: رياض الرئيس للكتب والنشر، 1991)، ص 66.

78 موسى، ص 428.

"فلسطين بريطانية"<sup>(79)</sup>. وقد قرر المجتمعون على إثر ذلك اللقاء تكرار مثل تلك الاجتماعات لأن "القصد الرئيسي من ذلك هو العمل سوياً لتحرير بلادنا [كذا]"<sup>(80)</sup>.

موازاةً مع تلك الجهدود في اتجاه النخبة السياسية العربية، تحرك الإنكليز في اتجاه الصهيونيين من أجل تقويب الشقة بين الطرفين، ويشهد بذلك إبراق الجنرال اللبناني إلى وايزمان طالباً منه إقامة اتصالات مباشرة مع القادة العرب المقيمين في القاهرة ومفاتحتهم في أمر "التعاون المشترك من أجل النهوض بفلسطين"<sup>(81)</sup>.

وتدريجياً، حققت هذه الإستراتيجية البريطانية المتمثلة بتبييد المضامين السياسية التي انتطوى عليها وعد بلفور بعض النجاح. ومن آيات ذلك، اجتماع وايزمان خلال زيارته إلى مصر، في آذار / مارس 1918، بعدد من الشخصيات السياسية السورية بفضل مساعي الميجور أنور أببل، وأورمسيي جور الذي انتدبته وزارة الخارجية ليرافق اللجنة ضابطاً سياسياً لها<sup>(82)</sup>.

ووجه وايزمان خلال الاجتماعات التي عقدها مع الفاعلين السياسيين السوريين في طمأنة هؤلاء بخصوص أهداف الصهيونيين وتنظيماتهم. كما حاول إقناعهم بفكرة التعاون بين العرب والصهيونيين.

لقد نجح وايزمان وكلايتون وأورمسيي، بفضل ما أوتوا من قدرة على الإقناع، في التأثير في عدد من الشخصيات القومية العربية. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، تجند فارس نمر باشا أحد مؤسسي جريدة المقطم في مصر، والعضو المؤسس لجمعية بيروت السرية، إلى الدعوة على أعمدة هذه الصحفة إلى التفاهم بين العرب واليهود. ووجه، في الوقت نفسه، من أجل تبييد مخاوف العرب حول مستقبلهم السياسي<sup>(83)</sup>. كما نجح كلايتون في إقناع كل من فوزي البكري ورفيق العظم وإبراهيم عبد الهادي ليتصلوا بـ "أصدقائهم في فلسطين وذلك بقصد التهدئة من مخاوفهم وتطمينهم"<sup>(84)</sup>.

يتراءى مما سبق أن الإنكليز والقادة اليهود الصهيونيين الذين كانوا يسعون إلى محاورة الهاشميين والقادة القوميين السوريين قد توّخوا الأسلوب نفسه في الطمأنة والتوضيح والتبرير والإقناع، بخصوص "نبل مقاصد" وعد بلفور. كما أن رد فعل القوميين الإصلاحيين "البرجوازيين" الشاميين يختلف نسبياً عن موقف الشريف حسين وأبنائه من تصريح بلفور.

## خاتمة

أفضى تقصيي مواقف قادة الحركة العربية من وعد بلفور، إبان إعلانه، إلى الوقوف عند "عواقب" (في التفكير والممارسة السياسيين) كبلت النخبة السياسية العربية خلال لحظة انعطافيةٍ من تاريخ المشرق العربي المعاصر.

وقد برهن مسلسل الأحداث آنذاك على أنه لم يكن هناك وعي عند قادة تلك الحركة - استوى في ذلك الهاشميون المحافظون والإصلاحيون الشاميون الليبراليون - بخطورة المشروع اليهودي الصهيوني، وبمضامينه وأبعاده المتعددة.

79 الكيالي، ص 436.

80 حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1935)، ص 222-223.

81 أنطونيوس، ص 378.

82 Full text of "Sykes-Picot," Internet archive, p. 4.

83 أنطونيوس، ص 378.

84 وثائق وزارة الخارجية البريطانية، كلايتون إلى سايكس، 31 آذار / مارس 1918، ص 371-3391، في: الكيالي، ص 436.

ويعلو محمد عزة دروزة ضعف ذلك الوعي، أو حتى انعدامه، أو ما سماه "أسباب الانهيار"، إلى عدم "تضوج رجال الحركة"<sup>(85)</sup>؛ لأنهم كانوا دون مستوى الأحداث التي واجهوها، وإن لم يكونوا يتحملون تبعه كل ذلك فقد كان التردد والشعور بالضعف وال الحاجة إلى الغير وعدم الثقة بالشعب وإمكاناته من أبرز عوامل ذلك "الانهيار"<sup>(86)</sup>.

ويذهب أمين سعيد مذهب دروزة حين يؤكد أن "فقد الرجال الأكفاء [من قادة الحركة] هو العامل الجوهرى في إنكار الإنكليز لوعدهم وتجاهلهم إياها وعدم نجاح القضية العربية"<sup>(87)</sup>.

إن فشل قادة الحركة العربية - بمشاربهم جميعاً - في إدراك المرامي الحقيقية للاستعمار الغربي والصهيونية العالمية لم يكن فشل "شخصيات"، أو "هيئات"، أو "جهات"، أو "أطراف" فحسب، بقدر ما كان ترجمانًا عن إخفاق "تجربة تاريخية" لم تتوافر لها أسباب النجاح حينذاك من جراء عوامل داخلية، وخارجية خاصة، شديدة التعقيد، وهذا موضوع آخر.



85 قال دروزة عن الأمير فيصل في هذا الخصوص: "ومن أسباب الانهيار عدم تحليّي فيصل آنذاك بصفات الزعيم القوي الناضج الأنبع المؤمن بزعامته وقوته، والواثق بنفسه وشعه، الحازم الرأي، القادر على الإملاء الحاسم والذي ينفتح في من حوله القوة والإيمان والحزم والإقدام [كل هذه الأشياء] كان يلمسها فيه الأصدقاء والأعداء معاً"، انظر: محمد عزة دروزة، *مذكرات 1881-1884*، مجل 1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 486.

86 المرجع نفسه.

87 سعيد، مجل 1، ص 317-318.

## References

## المراجع

### العربية

- أنطونيوس، جورج. *يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية*. ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس. ط 8. بيروت: دار العلم للملائين، 1987.
- وهبة، حافظ. *جزيرة العرب في القرن العشرين*. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1935.
- الحصري، ساطع. *محاضرات في نشوء القومية العربية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1955.
- دروزة، محمد عزة. *نشأة الحركة العربية*. ط 2. بيروت / صيدا: المكتبة العصرية، 1971.
- ———. *نشأة الحركة العربية الحديثة: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى، تاريخ وذكريات وتعليقات*. بيروت / صيدا: المكتبة العصرية، 1971.
- ———. *مذكرات 1884-1881*. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993.
- زين، زين نور الدين. *نشوء القومية العربية: مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية*. ط 3. بيروت: دار النهار، 1979.
- سعيد، أمين. *الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن*. القاهرة: مكتبة مدبولي، [د.ت.].
- العمري، صبحي. *المعارك الأولى: الطريق إلى دمشق، أوراق الثورة العربية (1)*. لندن / ليماسول: رياض الرئيس للكتب والنشر، 1991.
- ———. *أوراق الثورة العربية (2): ميسلون نهاية عهد*. لندن / ليماسول: رياض الرئيس للكتب والنشر، 1991.
- قدرى، أحمد. *مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى*. دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1956.
- الكيالى، عبد الوهاب. *تاريخ فلسطين الحديث*. ط 7. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979.
- لوتسكى، فلاديمير. *تاريخ الأقطار العربية الحديث*. ط 7. بيروت: دار الفارابى، 1980.
- ليسير، فتحى. "رهان النفط في مسار سايكوس - بيكون 1916-1920". *أسطور*. العدد 6. تموز / يوليو 2017.
- مجموعة مؤلفين. *الحركة العربية القومية في مائة عام 1875-1982*. ناجي علوش (مشرف ومحرر). بيروت: دار الشروق، 1997.
- موسى، سليمان. *الحركة العربية، المراحل الأولى للنهضة العربية الحديثة (1908-1924)*. ط 3. بيروت: دار النهار، 1986.
- النفزاوى، محمد الناصر. *التيارات الفكرية والسياسية في السلطنة العثمانية (1839-1918)*. تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية / دار محمد علي للنشر، 2001.
- وثائق فلسطين: مائتان وثمانون وثيقة مختارة، 1839-1987. تونس: منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة، 1987.
- وثائق فلسطين: مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية. القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، [د.ت.].

### الأجنبية

- Ruano-Borbalan, Jean-Claude (dir.). *L'histoire aujourd'hui*. Paris: Editions Sciences Humaines, 1999.